

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (بَلْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا): أَيُّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ
أَرْسَلَ إِلَيْنَا مَعَشَرَ هَذِهِ الْأُمَمِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِ رَبِّنَا، وَيُزَكِّيْنَا،
وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، كَمَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا مِنْ قَبْلُنَا، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ
مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَلَا بُدَّ أَنْ يُرْسَلَ إِلَى الْخَلْقِ؛ لِتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَلِيَعْبُدُوا اللَّهَ بِمَا يُحِبُّهُ
وَيَرْضَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
يُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاثَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ
قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ بِمَا يَرْضَاهُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرُّسُلِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ
الَّذِينَ بَيَّنُّوا لَنَا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ ﷻ، فَبِذَلِكَ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ
أَنْ أَرْسَلَ إِلَى الْخَلْقِ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، الدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا
إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَصْنَى فِرْعَوْنُ الرُّسُولُ فَأَخَذْنَاهُ
أَخْذًا وَّيْلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

﴿ قُلْتُ: فَالْغَايَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ طَاعَةُ الرُّسُلِ وَاتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤].

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَهَدَايَةُ الْبَشَرِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبَيَانُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا؛ فَالْحِكْمَةُ مِنَ الْإِرْسَالِ هِدَايَةُ النَّاسِ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَعْرِفَةُ رَبِّهِمْ وَعِبَادَتُهُ عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ): هَذَا حَقٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٣٢] ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٣].

وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [النساء: ١٣]. وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١]، وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟

قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ): هَذَا أَيْضًا حَقٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ، فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: «وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ».



قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿[المزمل: ١٥-١٦].....

* قُلْتُ: أَصْلُ (الْوَبِيلِ) فِي اللُّغَةِ: الثَّقِيلُ الشَّدِيدُ^(١)، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، يَعْنِي أَخْذًا مُحِيطًا ثَقِيلًا شَدِيدًا مُهْلِكًا؛ فَقَدْ أَغْرَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَمَلَأَهُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَهِيَ: «أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ».



(١) كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٨٧/٢٣)، دَارُ هَجَرَ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٠/١٩٠٢٣)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦]، قَالَ: شَدِيدًا، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ مِثْلَهُ.

المسألة الثانية:

أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

[الجن: ١٨]

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيِ الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، بَلْ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

* قُلْتُ: الْمَسَاجِدُ: جَمْعُ مَسْجِدٍ، وَهِيَ كُلُّ مَوْضِعٍ بُنِيَ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ هَذَا بِالْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيَّةِ.

وَأَمَّا بِالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ: فَكُلُّ مَوْضِعٍ يُسَجَّدُ فِيهِ فَهُوَ مَسْجِدٌ بِالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ.

مِنْ أَيْنَ هَذَا التَّعْرِيفُ؟

مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ»، لَمَّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ؛ «إِنَّمَا بُنِيَ» أَيِ: الْمَسْجِدِ، «لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِلصَّلَاةِ»^(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهِيَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَدْعُوَ الْإِنْسَانُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، وَاللَّهُ لَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ لَا يَرْضَاهُ ﷻ، وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنَكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩].

فَالْكُفْرُ وَالشِّرْكُ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ ﷻ بَلْ إِنَّمَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِمُحَارَبَةِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِمَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَا يَرْضَى بِالْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَرْضَى بِهِمَا؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ رِضَاهُ وَغَضَبُهُ تَبَعَ رِضَا اللَّهِ وَغَضَبِهِ، فَيَغْضَبُ لَمَّا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الطَّهَارَةِ، ٣٠: ٣، رَقْمُ ٢٨٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفَظٍ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَفِرَاقَةِ الْقُرْآنِ»، وَأَصْلُهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ هَذَا اللَّفْظِ.

يُغْضِبُ اللَّهُ وَيَرْضَىٰ بِمَا يَرْضَاهُ اللَّهُ ﷻ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ الْكُفْرَ وَلَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ أَنْ يَرْضَىٰ بِهِمَا.

وَالشِّرْكَ أَمْرُهُ خَطِيرٌ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»^(١).

جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhaj-un.com

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ٣، رَقْمُ ٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المسألة الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ
لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّالِثَةُ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

* قُلْتُ: هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ وَوَحَّدَ اللَّهَ؛ لَا يَجُوزُ
لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا أَنْ يَكُونَ مُوَالِيًا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُوَالِيًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
لَا يَكُونُ أَبَدًا أَنْ يُوَالِيَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَيُوَالِيَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، لَا يَكُونُ أَنْ يُوَالِيَ أَعْدَاءَ اللَّهِ،
وَيَكُونُ حَرَبًا عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

لَا بُدَّ لِكُلِّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ أَنْ يُعَادِيَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ
كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَلَا يُؤَالِيهِ بِحَالٍ.

فَهَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ الْمَسْأَلَةِ الثَّلَاثَةِ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ: الْوَلَاءُ
وَالْبِرَاءُ، وَالْوَلَاءُ أَصْلٌ عَظِيمٌ جَاءَتْ فِيهِ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران:
١١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن
اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٣)
قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

وَقَالَ ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤] الْآيَةَ.

وَلِأَنَّ مُوَالَاةَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَمُذَارَاتَهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ شَيْئًا هُوَ عَدُوٌّ لِمَحْبُوبِهِ، وَمُوَالَاةُ الْكُفَّارِ تَكُونُ بِمُنَاصَرَّتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَمُؤَادَّتُهُمْ تَكُونُ بِفِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا مَوَدَّتُهُمْ فَتَجِدُهُ يُؤَادُّهُمْ أَيْ يَطْلُبُ وَدَّهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَهَذَا لَا شَكَّ يُنَافِي الْإِيمَانَ كُلَّهُ أَوْ كَمَالَهُ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مُعَادَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ إِلَيْهِ، وَبُغْضُهُ وَالْبُعْدُ عَنْهُ، وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ نَصِيحَتَهُ وَدَعْوَتَهُ لِلْحَقِّ.

* قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَحِدْ﴾ بِالضَّمِّ ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا﴾ بِالضَّمِّ، إِذَا كَانَتْ مَضْمُونَةً فَهَذَا نَفْيٌ: ﴿لَا تَحِدْ﴾، يَعْنِي لَيْسَتْ نَهْيًا هُنَا، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْيٌ: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا﴾، يَنْفِي وَجْدَانَ قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَالنَّفْيُ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ مُتَعَلِّقٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ، «لَا تَفْعَلْ» فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَالْنَفْيُ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ؛ النَّهْيُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَالنَّفْيُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ مَعًا.

﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا﴾، هَذَا لَا يُوجَدُ لَيْسَ لَهُ وَجُودٌ، لَا فِيْمَا مَضَى، وَلَا فِيْمَا هُوَ آتٍ.

وَأَمَّا عِنْدَ النَّهْيِ فَالنَّهْيُ يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ؛ «لَا تَفْعَلْ»، يَعْنِي فِيمَا يَسْتَقْبِلُكَ مِنْ زَمَانٍ؛ فَيَكُونُ النَّهْيُ أَبْلَغَ مِنَ النَّهْيِ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ الْجَلِيلَةِ.

﴿لَا يَجِدُ﴾ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ﴿قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وَذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ صِفَاتِ الطَّاهِرِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْبِتِينَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِهَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الثَّلَاثَةِ، وَهُوَ أَصْلُ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ. ثُمَّ قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بَعْدَمَا أَخْبَرَ عَنْ رِضْوَانِهِ عَنْهُمْ وَرِضَاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْمَوْضِعَيْنِ ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ إِضَافَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ؛ فَمَا حَالُهَا؟

الإِضَافَةُ فِي الْأَوَّلَى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ؛ لِيَبَانَ اخْتِصَاصُهُمْ بِهِ تَعَالَى؛ فَهَذِهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ لِلْإِخْتِصَاصِ بِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ ضَمِيرٌ وَالْإِشَارَةُ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْإِسْتِعْمَالَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بِدَلَالَتِهَا الْعَمِيقَةِ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾؛ فَهَذِهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ تَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ بِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فَهَذِهِ الإِضَافَةُ لِيَبَانَ اخْتِصَاصُهُمْ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾، هُوَ لَا هُمْ أَصْحَابُ الْفَلَاحِ، ﴿هُمْ﴾، وَآتَى بِالضَّمِيرِ الْبَارِزِ الْمُنْفَصِلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ أَيْضًا، وَمَعَ

وَجُودِ تِلْكَ الْإِضَافَةِ ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ فَدَلَّ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ بِالْفَلَاحِ دُنْيَا وَآخِرَةً بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

وَمُؤَالَاةُ الْكُفَّارِ لَهَا مَظَاهِيرُ مُتَعَدِّدَةٌ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ مِنْهَا:

- الرِّضَا بِكُفْرِ الْكَافِرِينَ، وَعَدَمُ تَكْفِيرِهِمْ، أَوِ الشَّكُّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ بِتَصْحِيحِ
أَيِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْكُفْرِ؛ فَهَذِهِ مُؤَالَاةٌ لِلْكَفَّارِ.

- وَمِنْ مُؤَالَاةِ الْكُفَّارِ أَيْضًا: التَّشَبُّهُ بِهِمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ،
فَهَذَا مِنْ مُؤَالَاتِهِمْ.

- وَمِنْ مُؤَالَاتِهِمْ أَيْضًا: الثِّقَّةُ بِهِمْ، وَاتِّخَاذُهُمْ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا.

- وَمِنْ مُؤَالَاتِهِمْ أَيْضًا: مُعَاوَنَتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ.

- وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ.

- وَالتَّسْمِيَّ بِأَسْمَائِهِمْ.

- وَالسَّفَرُ إِلَى بِلَادِهِمْ إِلَى غَيْرِ ضَرُورَةٍ، بَلْ لِلنُّزْهَةِ وَالْمُتْعَةِ، لَا لِضَرُورَةٍ.

- وَمُجَامَلَتُهُمْ، وَمُدَاهَنَتُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُورِ الْمُؤَالَاةِ وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ.



مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْعِلْمِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى
إِعَادَتِهِ هُنَا.

الرُّشْدُ: الْإِسْتِقَامَةُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

الطَّاعَةُ: مُوَافَقَةُ الْمُرَادِ؛ فِعْلًا لِلْمَأْمُورِ وَتَرْكًا لِلْمَحْظُورِ.

الْحَنِيفِيَّةُ: هِيَ الْمِلَّةُ الْمَائِلَةُ عَنِ الشُّرْكِ، الْمَبْنِيَّةُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* قُلْتُ: «الْحَنِيفُ: هُوَ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَخْلَصَ لَهُ
الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ» (١).

وَالْحَنْفُ: الْمَيْلُ، وَهُوَ يَلْحَقُ الْقَدَمَ أَوِ الْقَدَمَيْنِ، وَيُقَالُ لِمَنْ أُصِيبَ بِذَلِكَ:

أَخْنَفُ، وَالْحُنْفَاءُ: الَّذِينَ مَالُوا عَنِ الشُّرْكِ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِ.

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص ٣٦).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (مِلَّةٌ): أَيُّ طَرِيقُهُ الدِّينِيِّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ الْعَلِيَّةُ.

إِبْرَاهِيمُ هُوَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ قَالَ ﷺ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وَهُوَ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ مَنْهَجِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ لِإِلَاقَتِدَاءِ بِهِ. قَوْلُهُ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ»: هَذِهِ خَبَرٌ «أَنْ» فِي قَوْلِهِ «أَنْ الْحَنِيفِيَّةَ».

وَالْعِبَادَةُ بِمَفْهُومِهَا الْعَامِّ، هِيَ: التَّذَلُّلُ لِلَّهِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ شَرَائِعُهُ.

* قُلْتُ: الْعِبَادَةُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ: أَصْلُ الْعِبَادَةِ التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ؛ تَقُولُ الْعَرَبُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ، يَعْنِي مُذَلَّلٌ مُهَيَّئٌ، وَطَأْتُهُ وَذَلَّلْتُهُ الْأَقْدَامُ؛ لِسُلُوكِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَسَيْرِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا الْمَفْهُومُ الْخَاصُّ لِلْعِبَادَةِ -يَعْنِي تَفْصِيلَهَا-: فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ^(١): «الْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ، الْبَاطِنَةِ، وَالظَّاهِرَةِ»، كَالْخَوْفِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

الْإِخْلَاصُ هُوَ التَّنْفِيزُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: أَنْ يَقْصِدَ الْمَرْءُ بِعِبَادَتِهِ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ، وَالْوُصُولَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، بِحَيْثُ لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى - الْعُبُودِيَّةُ» (١٠/١٤٩).

مُرْسَلًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ صُطِّفَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿[البقرة: ١٣٠-١٣٢].

* قُلْتُ: فَيَقْصِدُ بَعَادَتَهُ وَجْهَ رَبِّهِ، وَيَقْصِدُ الْوُصُولَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوحِّدُونِي

* قُلْتُ: (وَبِذَلِكَ)، أَيِ بِالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي مَرَّ تَفْسِيرُهَا بِالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ بِالتَّوْحِيدِ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهُ؛ كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوحِّدُونِي)، وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أَيِ: يُفَرِّدُونِي بِالْعِبَادَةِ.

وَهَذَا كَمَا تَرَى حَقُّ لَا مَرِيَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ، -وَفِي رِوَايَةٍ^(١): أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ-؛ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...»^(٢).

(١) أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (التَّوْحِيدِ، ١: ٢، رَقْمُ ٧٣٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الزَّكَاةِ، ٤١، رَقْمُ ١٤٥٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٧: ٣، رَقْمُ ١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَقَوْلُهُ وَاللَّهُ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ: «فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ» دَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُوحِّدِ اللَّهَ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَإِنْ أَقَرَّ بِوُجُودِهِ، وَأَقَرَّ بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يُوحِّدِ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ عَارِفًا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَبِذَلِكَ): أَيْ بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَبَيَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَام فِي كِتَابِهِ، أَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا خُلِقُوا لِهَذَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

* قُلْتُ: الْجِنَّ: عَالَمٌ غَيْبِيٌّ قَائِمٌ بِذَاتِهِ يَخْتَلِفُ عَنِ الْإِنْسِ؛ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَالْإِنْسُ مِنْ طِينٍ؛ سُمُّوا جِنًّا؛ لِاجْتِنَانِهِمْ، أَيْ لاسْتِتَارِهِمْ عَنِ الْعُيُونِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (يُوحِّدُونِي): يَعْنِي: التَّوْحِيدُ مِنْ مَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَإِلَّا فَقَدْ سَبَقَ لَكَ مَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُطْلَقُ، وَأَنَّهَا أَعَمُّ مِنْ مُجَرَّدِ التَّوْحِيدِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعِبَادَةَ نَوْعَانِ:

عِبَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ؛ وَهِيَ الْخُضُوعُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الْكُونِيِّ، وَهَذِهِ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، لَا يَخْرُجُ عَنْهَا أَحَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فَهِيَ شَامِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

* قُلْتُ: وَالْعَبْدُ بِالْمَعْنَى الْكُونِي لَا يُفِيدُ مَدْحًا؛ لِأَنَّهُ يَنْتَظِمُ تَحْتَ كُلِّ طَائِعٍ وَعَاصٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ؛ حَتَّى إِبْلِيسُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْإِطَارِ أَوْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْإِطَارِ، وَهُوَ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ؛ عَبْدٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْمَعْنَى الْعَامِّ، مَقْهُورٌ لَا يَقْوَى عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالثَّانِي: عِبَادَةُ شَرْعِيَّةٌ؛ وَهِيَ الْخُضُوعُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الشَّرْعِيِّ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى، وَاتَّبَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

* قُلْتُ: فَالنَّوعُ الْأَوَّلُ: لَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَهُوَ الْعِبَادَةُ الْقَدَرِيَّةُ أَوْ الْكُونِيَّةُ، الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهَا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ؛ فَيَشْهَدُ حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ الْكُلَّ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ.

كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ لَا يَتَعَدَّى هَذَا الْمَشْهَدَ إِلَى مَشْهَدِ الْفَرْقِ، وَهُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مَخْلُوقًا مُفَرَّدًا بِذَلِكَ مُوقِنًا بِهِ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَائِعًا لِلَّذِي خَلَقَهُ؛ فَيَأْتِي بِالْأَمْرِ وَيَنْتَهِي عَنِ النَّهْيِ.

وَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَهِيَ الْعِبَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْأَمْرِيَّةُ الَّتِي فِيهَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.

كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ السُّلُوكَ، وَيَدْعُونَ التَّحَقُّقَ بِالْمَقَامَاتِ؛ إِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، وَوَقَفُوا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ لَمْ يَتَجَاوَزُوهُ قِيدَ أَنْمَلَةٍ؛ فَلَمَّا شَهِدُوا

الكَائِنَاتِ كُلَّهَا مُسَخَّرَةٌ مَرْبُوبَةٌ؛ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ النَّهَايَةُ؛ فَوَقَفُوا عِنْدَ تِلْكَ الْغَايَةِ، وَلَمْ يَتَعَدَّوْا إِلَى الْمُنتَهَى الْأَسْنَى، وَإِلَى الْمُرْتَقَى الْأَعْلَى، وَهُوَ شُهُودُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ وَقَفُوا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ أَدَّى بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ وَقُوفُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ إِلَى الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ شَهِدَ حَقِيقَةَ الْقَدَرِ؛ فَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى الْمَعَاصِي، وَقَالَ: مَا دَامَ الْكُلُّ مَخْلُوقًا؛ فَالْكَافِرُ طَائِعٌ لِلَّهِ فِي كُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْإِرَادَةِ الْكُونِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَذِنَ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ إِذْنٌ؛ هُوَ طَائِعٌ لِلَّهِ؛ فَرَضُوا عَنِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ وَالْعُصْيَانِ وَالْبِدْعَةِ، وَلَمْ يُمَيِّزُوا!!

وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّفُوا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا كَانُوا فِي مَشْهَدِ الْفَرْقِ؛ فَأَقْرَأُوا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَقْرَأُوا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْأُلُوهِيَّةِ؛ فَكَانُوا لَهُ عَابِدِينَ، وَأَخْلَصُوا التَّوْحِيدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ لَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّهُ بَغِيرُ فِعْلِهِ، لَكِنْ قَدْ يَحْصُلُ مِنْهُ مِنْ شُكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَصَبْرٍ عَلَى الْبَلَاءِ، بِخِلَافِ النَّوْعِ الثَّانِي فَإِنَّهُ يُحْمَدُ عَلَيْهِ.

* قُلْتُ: وَأَمَّا مَا أَتَى مِمَّا قَدَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ قَدَرًا وَكُونًا، فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُ الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، كَمَا يَلْزِمُهُ الصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ؛ فَهَذَا مَطْلُوبٌ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا

قَدَّرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِهِ مَرْبُوبًا مُسَخَّرًا مَقْهُورًا عَبْدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِذَا رَضِيَ دَخَلَ فِي الْإِطَارِ الثَّانِي؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالرِّضَا عَلَى السَّرَّاءِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَمَأْمُورٌ أَيْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّوْحِيدُ، لُغَةً: مَصْدَرٌ وَحَدٌ يُوحَّدُ، أَيُّ: جَعَلَ الشَّيْءَ وَاحِدًا، وَهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِنَفْيِ وَإِثْبَاتٍ، نَفْيِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَى الْمُوَحَّدِ، وَإِثْبَاتِهِ لَهُ، فَمَثَلًا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَتِمُّ لِلْإِنْسَانِ التَّوْحِيدُ حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَنْفِي الْأُلُوهِيَّةَ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيُثْبِتُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

* قُلْتُ: وَهَذِهِ قَاعِدَةُ الرُّسُلِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا أَقْوَامَهُمْ؛ فَإِنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا جَاءُوا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ حَتَّى فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ؛ فَاثْبَتُوا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنَفُوا عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَمِيعَ صِفَاتِ النَّقْصِ فَجَاءُوا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: عَرَفَهُ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِهِ: «التَّوْحِيدُ: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ»؛ أَيُّ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، لَا تُشْرِكُ بِهِ نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَلَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا رَئِيسًا، وَلَا مَلِكًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ تَقْرُدُهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَرَغْبَةً وَرَهْبَةً.

وَمُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّوْحِيدُ الَّذِي بُعِثَ الرُّسُلُ لِتَحْقِيقِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَصَلَ بِهِ الْإِخْلَالُ مِنْ أَقْوَامِهِمْ.

وَهُنَاكَ تَعْرِيفٌ أَعْمٌ لِلتَّوْحِيدِ وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ».

وَأَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ».

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

[فاطر: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ»؛ بِأَنْ لَا يَتَّخِذَ الْإِنْسَانُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا يَعْبُدُهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ، كَمَا يَعْبُدُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ.

الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِمَا سَمِيَ بِهِ نَفْسُهُ، وَوَصِفَ بِهِ نَفْسُهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ»، وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ.

وَمُرَادُ الْمُؤَلَّفِ هُنَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَاسْتَبَاحَ دِمَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَرْضَهُمْ، وَدِيَارَهُمْ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ، وَذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَكْثَرَ مَا يُعَالِجُ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

* قُلْتُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ كَانُوا يَقْرُونُ بِهِ إِلَّا شَرَادِمُ لَا يُؤْبَهُ لَهَا كَانُوا يَقُولُونَ:
﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، هَؤُلَاءِ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَلَا قِيَمَةٌ لَهُمْ.

وَلَكِنْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَقْوَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كَانُوا مَعَ إِقْرَارِهِمْ
بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ يَصْرِفُونَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَكَانَتْ الْخُصُومَةُ، وَكَانَ
مَحَلُّ النِّزَاعِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُحَرِّرُوا مَوْطِنَ النِّزَاعِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ
الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ.

لِمَاذَا حَارَبَهُمُ النَّبِيُّ؟!

لِمَاذَا قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ؟!

لِمَاذَا خَاصَمَهُمُ النَّبِيُّ وَخَاصَمُوهُ؟!

مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

هَلْ لَانْتَهُمُ كَانُوا لَا يَقْرُونُ بِوُجُودِ اللَّهِ؟ وَأَنَّهُ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرَّزَّاقُ وَالْمُدَبِّرُ
لِلْأَمْرِ عُلُويًّا وَسُفْلِيًّا، كَانُوا يَقْرُونُ بِذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى
كُفْرِهِمْ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، فَلَمَّا كَفَرُوا بِذَلِكَ قَاتَلَهُمْ وَاسْتَبَاحَ
دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالْعِبَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَمَنْ أَخْلَلَ بِهَذَا
التَّوْحِيدَ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَإِنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ رَجُلًا يُقَرَّرُ إِقْرَارًا كَامِلًا بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

* قُلْتُ: وَهَذَا مِنَ الْمُحَالِ الْعَقْلِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَرَّرَ إِقْرَارًا كَامِلًا بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَبِتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، ثُمَّ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ يَقْتَرِضُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَكِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ فَيَعْبُدُ صَاحِبَهُ، أَوْ يَنْذِرُ لَهُ قُرْبَانًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ خَالِدٌ فِي النَّارِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* قُلْتُ: وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ عِنْدَمَا تَنْزِلُهُ عَلَى الْمُعَيَّنِينَ؛ لَا بُدَّ مِنْ تَوْفِيرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الرَّسُولِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

فَلَا يَنْتَزِلُ هَذَا الْحُكْمُ وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَى الْعُمُومِ لَا يَنْتَزِلُ عَلَى الْمُعَيَّنِ إِلَّا بِتَوْفِيرِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ؛ هَذَا مُهِمٌّ وَإِلَّا تَوَرَّطَ طَالِبُ الْعِلْمِ فِي تَكْفِيرِ النَّاسِ جُمْلَةً.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا كَانَ التَّوْحِيدُ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ الدِّينُ كُلُّهُ، وَلِهَذَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ (١)، وَأَمَرَ مَنْ

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٣/٤، رَقْمُ ١٦٦٠٣) وَمَوَاضِعَ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ رِبْعَةَ بْنِ عَبَادٍ الدَّوْلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَاسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا».

أَرْسَلَهُ لِلدَّعْوَةِ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ^(١).

* قُلْتُ: وَكُلُّ دَعْوَةٍ لَا تَنْبَنِي عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، وَلَا تَبْدَأُ بِهِ دَعْوَةٌ فَاشِلَةٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ دَعْوَةٌ لِلْإِصْلَاحِ بِحَالٍ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُؤْتِيَ أَكْلَهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَعْوَةٌ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا قَوْمَهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ، وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ دَاعِيَهُ دَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ إِلَى الْيَمَنِ، وَهُوَ مُعَاذُ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ»^(٢)؛ فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبْدَأَ بِهَذَا الْأَصْلِ.

إِصْلَاحُ الْمُجْتَمَعَاتِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَأْتِيَ إِلَّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّوْحِيدِ، ١: ٢، رَقْمُ ٧٣٧٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧: ٣، رَقْمُ ١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تُقْدِمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى...»، الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكَ. وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَعْظَمُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ الشِّرْكَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعْظَمَ الْحُقُوقِ هُوَ حَقُّ اللَّهِ ﷻ، فَإِذَا فَرَطَ فِيهِ الْإِنْسَانُ فَقَدْ فَرَطَ فِي أَعْظَمِ الْحُقُوقِ، هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْظَمُ الذَّنْبِ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» (١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (التَّوْحِيدُ، ٤٠، رَقْمُ ٧٥٢٠) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (الْإِيمَانُ، ٣٧: ١، رَقْمُ ٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* قُلْتُ: التَّنِيدُ نَوْعَانِ - كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي بَيَانِ أَصْنَافٍ مِنَ الشِّرْكِ
الْأَصْغَرِ -:

مِنْهُ مَا يَكُونُ شِرْكَاً أَكْبَرَ، وَهُوَ: أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ شَرِيكاً فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ أَوْ فِي
بَعْضِهَا؛ هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَأَمَّا مَا هُوَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ؛ كَقَوْلِ الرَّجُلِ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ».

وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ الْيَهُودِيَّ الْحَبَرَ لَمَّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ
تُنَدُّونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ هَذَا
شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ حَلَفٌ بِغَيْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، «وَتُنَدُّونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ»؛
هَذَا تَنْدِيدٌ، وَلَكِنْ هَذَا شِرْكٌ أَصْغَرُ^(١).

يَقُولُ الرَّجُلُ: «لَوْلَا اللَّهُ وَأَنْتَ، لَوْلَا الْكَلْبَةُ لَسَرَقْنَا اللَّصُوصُ»؛ قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ: هَذَا شِرْكٌ، «لَوْلَا الْأَوْزُ فِي الدَّارِ لَسَرَقْنَا اللَّصُوصُ»^(٢)؛ لِأَنَّهُ يَزْعُقُ بِلَيْلٍ

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى» فِي (الْإِيمَانِ، ٩، رَقْمُ ٣٧٧٣)، مِنْ طَرِيقِ: مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ قُتَيْبَةَ بِنْتِ صَيْفِي الْجَهَنِيَّةِ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَنْدُدُونَ،
وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا
أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبَّ الْكَعْبَةِ»، وَيَقُولُونَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتُ»، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ
الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٦).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٦٢/١، رَقْمُ ٢٢٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَمْرِو بْنِ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ
أَبِي عَاصِمٍ الضَّحَّاكِ بْنِ مَخْلَدٍ، أُنْبَأَ شَيْبُ بْنُ بُشَيْرٍ، ثَنَا عِكْرِمَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا

إِنْ رَأَى خِيَالًا أَوْ سَمِعَ حِسًّا؛ فَلَمَّا سَمِعُوا الصَّوْتَ قَامُوا؛ فَفَرَّ اللَّصُّ فَقَالُوا: لَوْلَا ذَلِكَ لَسَرَقْنَا اللَّصُوصُ؛ قَالَ: هَذَا شِرْكٌ. وَلَكِنَّهُ شِرْكٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ؛ فَأَعْظَمَ الذَّنْبُ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»^(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢).

تَجَعَّلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ﴿البقرة: ٢٢﴾، قَالَ: «الْأُنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةً، وَحَيَاتِي، وَيَقُولَ: لَوْلَا كَلْبَةٌ هَذَا لَأَتَانَا اللَّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللَّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ»، وَعَمَرُو بْنُ أَبِي عَاصِمٍ: مَجْهُولُ الْحَالِ، وَشَيْبٌ بْنُ بُشَيْرٍ: ضَعِيفٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّغَمَةِ» (رَقْمٌ ٣٥٧، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ)، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَحْسَبُ هَكَذَا قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُشْرِكُ حَتَّى يُشْرِكَ بِكَلْبِهِ، يَقُولُ: لَوْلَاهُ لَسَرَقْنَا اللَّيْلَةَ»، وَلَعَلَّ الْمُبْهَمَ هُوَ عِكْرِمَةُ؛ فَإِنَّهُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَصَحَّ بِذَلِكَ الْأَثَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ٣، رَقْمٌ ٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، ٢: ٢٢، رَقْمٌ ٤٤٩٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ١، رَقْمٌ ٩٢)،

مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* قُلْتُ: تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِالْعَقْلِ أَيْضًا عَلَى هَذَا؛ فَحَقُّ جَارِكَ الْكَافِرِ عَلَيْكَ وَاحِدٌ، وَحَقُّ الْمُسْلِمِ مِنْ غَيْرِ ذَوِي الْقُرْبَى إِنْ جَارًا؛ عَلَيْكَ حَقَّانِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَكَانَ مُسْلِمًا جَارًا؛ فَلَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ.

حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ بَعِيدًا عَنْكَ بِلَا قُرْبَى - وَكَفَى بِالْإِسْلَامِ لُحْمَةً وَوُصْلَةً - وَلَكِنْ حَقُّ الْمُسْلِمِ الْبَعِيدِ عَلَيْكَ لَيْسَ كَحَقِّ الْمُسْلِمِ الْقَرِيبِ مِنْكَ أَنْ تَدْعُو بِالنُّصْرَةِ وَالتَّيْسِيتِ وَالتَّائِيدِ وَالْمَغْفِرَةِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْكَ؛ فَحَقُّهُ يَتَضَاعَفُ، وَيَتَأَكَّدُ عَلَيْكَ، هَلْ تَرَى أَنَّ حَقَّ أَخِيكَ لَيْسَ بِابْنِ أُمِّكَ وَأَبِيكَ، كَحَقِّ أَخِيكَ الَّذِي هُوَ ابْنُ أُمِّكَ وَأَبِيكَ إِنْ اسْتَوَيَا فِي الْإِسْلَامِ وَالصَّلَاحِ؟!

حَقُّ الْأَخِ لِصُلْبِكَ الصُّلْبِيِّ يَكُونُ عَلَيْكَ أَوْكَدَ، هَلْ تَرَى أَنَّ حَقَّ أَخِيكَ وَإِنْ كَانَ شَقِيقًا كَحَقِّ أُمِّكَ، أَوْ كَحَقِّ أَبِيكَ يَتَضَاعَفُ؟!

فَإِنْ أَخْلَلْتَ مَثَلًا بِحَقِّ أَبِيكَ، وَإِنْ أَخْلَلْتَ بِحَقِّ أُمِّكَ؛ فَهَذَا يَكُونُ أَشْنَعَ مِنْ إِخْلَالِكَ بِحَقِّ أَخِيكَ، ثُمَّ تَتَدَرَّجُ نَازِلًا - رَفَعَكَ اللَّهُ بِدِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ - تَتَدَرَّجُ فِي هَذَا فَتَجِدُ الْقَضِيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحُقُوقُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكَيْفَ بَرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؟!

حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ الْحُقُوقِ؛ فَالْإِخْلَالُ بِحَقِّ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الْمُنْكَرَاتِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي التَّوْحِيدِ فَهُوَ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ مَا يَكُونُ وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا التَّوْحِيدَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَنَهْيِهِ عَنِ الشِّرْكِ بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فَأَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِعِبَادَتِهِ، وَنَهَى عَنِ الشِّرْكِ بِهِ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، فَمَنْ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ ﷻ فَهُوَ كَافِرٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَهُوَ مُسْلِمٌ مُخْلِصٌ.

وَالشِّرْكَ نَوْعَانِ: شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَشِرْكٌ أَصْغَرُ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ: كُلُّ شِرْكٍ أَطْلَقَهُ الشَّارِعُ، وَكَانَ مُتَضَمِّنًا لِيُخْرِجَ الْإِنْسَانَ عَنْ دِينِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ: كُلُّ عَمَلٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ وَصَفَ الشِّرْكَ، وَلَكِنَّهُ لَا يُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَعَلَى الْإِنْسَانِ الْحَذَرُ مِنَ الشِّرْكِ أَكْبَرِهِ وَأَصْغَرِهِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

* قُلْتُ: وَعَدَمُ الْمَغْفِرَةِ لِلشِّرْكِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُشْرِكًا فِي حَالِ حَيَاتِهِ فَتَابَ إِلَى اللَّهِ، وَوَحْدَهُ وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبَدَهُ؛ إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ وَيُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَتَحَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِمْ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ

بُلُوغُ الرُّوحِ الْحُلُقُومِ؛ فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلُقُومَ، وَإِذَا غَرَّغَرَ الْعَبْدُ فَقَدْ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِعُمُومِ الْخَلْقِ فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ يُغْلَقُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ.

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ الشَّرِكِ، وَأَمَّا مَنْ تَوَرَّطَ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ؛ فَإِذَا تَابَ مِنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا وَحَّدَهُ الْعَبْدُ وَأَنَابَ إِلَيْهِ وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ لَهُ مَا سَلَفَ.

وَالْآيَةُ فِي حَقِّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ شُرْكِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ مَاتَ مُصِرًّا أَوْ مُوَاقِعًا لَذَنْبٍ دُونَ الشَّرِكِ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وَأَمَّا إِنْخِبَارُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا وَلِعِبَادِهِ فِي أَرْضِهِ أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَتَابَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ظُلْمِ نَفْسِهِ، وَلَوْ كَانَ بِالْكَفْرِ، وَلَوْ كَانَ بِالرَّدَّةِ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَقْبِضَنَا عَلَى ذَلِكَ وَيَحْشُرَنَا عَلَيْهِ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.